5

الرواق

شهرية تصدرها وزارة الثقافة والفنون بغداد

سعد شاكر

انتباهة الخزف

فن الزمن المتجدد

نعترف ان الخزف لا ينتمي الى زمن معزول .. انه يختزن طاقاته ، موضوع لم يستنفد ، بعد ، مضمونه الاجتماعي ولا اشكاله الابتكارية .. ما زال الخزف في قصده الارادي وصفا واضافة وتجليات في روح الطين واللون وفعل الاصابع (في هدوئها وتلقائيتها او في انفعالها وتجريبيتها ..)

انه الوضع وشكل الوضع .

واذ تبدو اشكال الخزف النحتية المعاصرة متناقضة مع المضمون الاجتماعي التقليدي ـ كمظهر ـ لكنها ـ كدلالة ـ متطابقة معه .. وبالدقة متطابقة مع المضمون الاجتماعي لعصرنا .. فلكل مرحلة فكرها الابداعي، والا تحولت الاعمال الفنية الى نسخ متكررة لعمل كلاسيكي واحد ..

الخزف ـ باشكاله المعاصرة المتنوعة ـ زي لعصر ما هو عصرنا يضاف الى ماهية الفنان الخلاق ، ..

انه انفعالات وحالات تمارسها الوظيفة الطينية والفنية والنار والاكاسيد ، المستقلة عن الكلام ، والمرتبطة بذاتها بفيزياويتها : بانفعالاتها وتفاعلاتها والمعلنة عن تكوينها عبر الحصائل .. والخلاصات .. التي تتداخل معها ارادة الصنع الاول ، وهي ارادة (الشكل) الخارجي ، الفضائي .. للعمل الخزفي ، التي يكونها الفنان ـ الخزاف ..

وتخرج ، بعد تلك التفاعلات والاغتناءات ، على شكل نمط من منطق الاستهلاك ومنطق المخاطبة (اعلامية الفعل الفني) ، وبالتالي انه (الخزف) لسان اجتماعي معجون بابداعية وحيل وابتكارات عصر وخبرات .

انه ليس «الاصعب» و «الاسهل» او «الابسط».. بمقياس «البدائية» و «التجريد» ـ كما اراد في تعريفه له هربرت ريد ـ فالاصعب والاسهل ، هنا ، حالتان تتبادلان المواقع حسب الخبرة والوقت والامتانيات والمواد والوضع النفسي والخبروي للفنان ذاته ..

كثيرون رددوا «حكمة» هربرت ريد «القديمة» : «الخزف هو الفن الابسط لانه الاكثر بدائية ، وهو الاصعب لانه اكثر الفنون تجريدا ..» ..

لكن بعض خزافينا خرج على هذا التقنين ، فالخزف وجود مثقل بابعاده وكتله ووزنه وظرفيته، انه ليس فنا «هشا» ولا شكلا مسطحا .. وحتى في «بساطته» و «بدائيته» كان تعبيرا عن قلق حضاري ، صراع ضد البساطة والبدائية ، منذ وجد ـ كأثر في الكهوف القديمة ـ كان اثرا اثرائيا لحياة ـ تبدو بسيطة وبدائية ـ لكنها في طموحاتها ـ ضمن ظرفيتها ـ خارقة الصعوبة ، خشنة ، ومعقدة .. لانها تريد ان تتجاوز المألوف ، والعادي ، والسائد ..

والخزاف الذي يريد ان يضاهي خيالاته ، ولا يمتلك الا الطين المحض ، لا يصل الى النتائج التي يملكها خزاف آخر يملك الطين الاجود نوعية ، مع مجموعة «اصباغ» صنعها ، بجهده الشخصي ، من النباتات وموجودات الطبيعة الاخرى .. حتى لو كان هذان الخزافان يعيشان في مجتمعين متماثلين ـ تاريخيا ـ ولكن في كهفين متباعدين جغرافيا : احدهما في الصين والاخر في «تل حلف» قبل ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد (بالقرب من منبع نهر الخابور) ضمن حضارة حوض دجلة والفرات الى حوض البحر المتوسط وقياسا الى ما عثر عليه في نينوى ، او حتى فيما عثر عليه في جهات اخرى من العراق مثل سامراء او (والاربجية بالقرب من نينوى) وفي تبي جورا (قرب خرسباد ..)

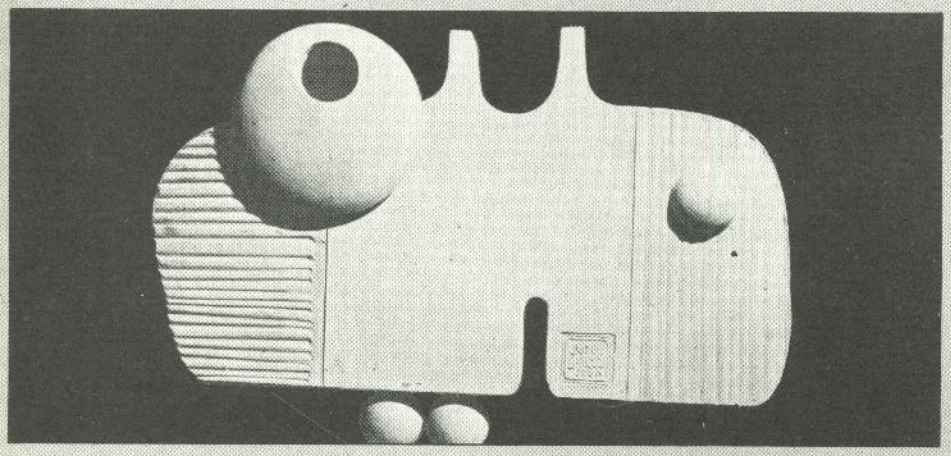

صحيح ان الخزف ـ في بعده الزمني ـ يمتد عميقا في التربة ، معها ، ومع اولى المكونات الحضارية للانسان .. لكنه ـ في خلاصته ـ فعل حضاري ارتبط بفاعلية الانسان على التامل والخلق ، واحيانا ـ بل وبالضرورة ـ نشا مع اول تفكير بالحاجة والاستعمال.

ومع اول حفرة صنعها الانسان ليوقد بها نارا تعاملت الطبيعة بشكل منحاز ، وامام نظر ذلك الكائن ، بان جعلت النار تتفاعل مع التراب والطين لتشكل اشكالا والوانا اصلب من العادي غير المتفاعل، وهي بالتالي انتباهة اولى ليقظة تفاعلات الطبيعة ، نبهت الكائن على الافادة منها ..

لذا فما يبدو «بسيطا» و «بدائيا» ـ في اولياته ـ نتاج زمن ليس مقطوعا حضاريا ولا مهملا ..

هذه المداخلة توصلنا الى حقيقة ان الخزف ليس فنا مقطوع الجذور والخزف لا ينتمي ـ بالتبعية ـ الى زمن معزول ..

■ البدايات والتواصل ■

وهذه الحال تنطبق على فناننا سعد شاكر (1935ـ000) الذي تختزن ذاكرته مد دخل معهد الفنون الجميلة عام 1957 رساما ، ثم تخصص في الخزف عام 960 ليغادر الى لندن عام 1961 تعميقا للاختصاص .. ثم ليواظب مسيرته في فن الخزف طالبا للدبلوم ثم مساعدا فنيا ، ثم محاضرا في نفس المدرسة كذلك في «هارو» ثم ليعود الى بغداد استاذا لهذا الاختصاص في اكاديمية الفنون الجميلة ..

وهو اذ يفخر بكونه اول العراقيين الذين تعلموا فعادوا ليعلموا ولينتجوا على مستوى العمل الاكاديمي والتدريس والمعارض الشخصية والمشتركة ،لا ينسى الاوائل ـ في المبادرة والفعل ـ فهو يتذكر ـ في عام 53 ـ حماسة جواد سليم وفائق حسن وزيد محمد صالح وقحطان المدفعي .. لتاسيس فرع لهذا الفن..

زيد والخرائط والتصاميم التي بعثها من لندن.. وفائق وقحطان حين اعتليا اول كرسيين ليديرا «عجلة» الخزف .. ومن قبل فان الانكليزي «ايان اولد» (53ـ54) اول من درس (الجانب النظري) ثم فالنتينوس كرامبوس ، هذا القبرصي الوارث عن ابيه لهذا الفن، غادر مسقط راسه دون دعوة، للمجيء الى العراق بمجرد ان علم ـ بالصدفة ـ بان « ايان اولد »انفك عن التدريس ، وثمة عمل في بغداد ..

هذا الفنان الذي واجهته حال وصوله بغداد تلك العاصفة الترابية العاتية وذلك المناخ المتقلب فحاول

ان يعود الى بلاده في نفس اليوم .. لكن ..طبيعة الفنان التي فيه تغلب على مزاج الطبيعة العراقية .. فعاش منذ ذلك العام وحتى الان .. في عراق النبل والحضارة.. يتذكر سعد شاكر البدايات..ويبتسم لمفارقاتها .. اذ يقول :

« في اوائل الخمسينات اقترح الاستاذان فائق حسن وجواد سليم تدريس الخزف في معهد الفنون الجميلة اضافة الى الرسم والنحت .. وقد تحقق ذلك الاقتراح بتضافر جهود الفنانين اذ ساهم الفنان زيد صالح زكي والفنان المهندس قحطان المدفعي في المساعدة لتنفيذ الفكرة .. وهكذا اسس اول مشغل (ستوديو) في العراق للسيراميك في بداية الخمسينات ولم يكن ـ هناك اي متخصص في هذا الفن وبعد فترة استضيف الاستاذ البريطاني ايان اولد ولمدة ثلاث سنوات .. لكنها لم تعط ثمارها فغادر العراق ليحتل الاستاذ فالنتينوس كرسي الخزف ، فيرسي اسس الدراسة الاكاديمية لهذا الفن ويمد جذورها عميقا منذ عشرين عاما ولحد الان ـ مع الخزافين العراقيين الذين عادوا من دراستهم في خارج الوطن ـ .. »

يتعثر سعد شاكر في نطق التفاصيل..حين يصل الى هذه النقطة .. انه يخجل من ذكر دوره البارز في تصعيد الخط البياني لهذا الفن .. وينعطف على الظاهرة في خطها العام : « اتخذت حركة السيراميك خطا بيانيا في التقدم والتطور خلال فترة قصيرة من الزمن .. وغدت هذه الحركة قابليات شابة وطموحة متميزة استطاعت ان تغنيها بحيوية وتحفز .. فخرج الخزف من حرفية الموضوع الى حقول الفنون التشكيلية المثابرة .. ومنحت هذه الطاقات الشابة للخزف الدفء والحرارة البشرية المتمازجة مع روح العصر لتتحد معا باحثة في الشكل والمضمون الجديدين ..

ولا غرابة في ذلك لانهم ابناء هذه الارض المعطاء التي اكتشفت اول ادوات العيش المستقر ، واول من صاغ الشكل الوظيفي والجمالي للفخار .. »

■ التحولات ■

والذين اعتبروا فن سعد شاكر « فن استقصاء الشكل ـ ضمن حدود القواعد الخزفية التي يفرضها على نفسه » ادركوا ان ذلك لم يكن محطته النهائية ، فقد حلت «التوترات والحلول» لتشكل مصدرا لجمال اعماله ..

لقد تجاوز سعد « المقدرة النفعية لاعماله ليمتع حواسنا باشكال نحتية مزججة واشكال مبتكرة .. ان بحث سعد شاكر عن التناسق والكمال في الشكل نجده منعكسا في « منحوتاته » التي اعطاها مرونة استاتيكية ولونية ..

لقد اتجه سعد شاكر في السنوات الاخيرة «للتاكيد على القيمة الجمالية في اعماله الخزفية ، وهو في محاولته هذه ينمو نحو استغلال اللون والكتلة كقيمتين اساسيتين تتحدان بشكل عضوي في العمل الخزفي لتضعاه في الموقع الذي يصبح فيه امتدادا للنحت والرسم..وبهذا تكتسب القطعة الخزفية قيمة تعبيرية ذاتية تستمد وجودها من العوالم الداخلية للفنان .. « ففي فترة ما كان الفنان سعد شاكر يجد في الاصداف والنباتات البحرية والقواقع المتحجرة مصدرا ثريا للالهام» .. ثم وهو « يعمل بالصلصال بعيدا عن العجلة يبدع ويرتفع الى تحقيقات تشكيلية ذات صفات نصبية رائعة .. »

يقول فالنتينوس كارالمبوس : « اعمال سعد شاكر الاخيرة هي نمو وتطوير للاشكال والمواضيع التي طرحت مشاكلها على ذهنه منذ زمن ، ولهذا النمو وهذا التطوير قيمة خاصة ، انهما التلاحق الطبيعي لميلاد الفكرة ولدا ، فانهما ضروريان ومهمان ضرورة النمو والنضج للميلاد بالمعنى الفيزيائي ..

ونتيجة لذلك يجب الا نحسب ان اعماله هي مجرد تكرار ، انها ، بالعكس ، تشكل استغلالا متواصلا للفكرة الاصلية ، من خلال كل تنويع وامكانية قد تحملها الفكرة على نحو دقيق منتظم يؤدي الى نتائج اعمق واغنى ..

اشكال سعد شاكر مجردات مستقاة اما من المحار او الصبير او الجسم الانساني ، انها في معظم الحالات تاليف من هذه العناصر المتباينة ، المتضادة احيانا ، يجمعها معا ليخلق منها وحدة عضوية .

مثلا : الشكل المبني على الصبير قد يصبح فجاة شبيها بالمحارة ، يضاف اليه نهدان ، هذه العناصر المتضادة يمزجها الفنان لينتهي بها الى شكل يبدو طبيعيا ، مرتاحا ومقنعا .. ولو انه في الواقع لا ينتمي الى اي من عناصره ..

الاشكال التي تخلق هكذا ، على غرابتها عند الوهلة الاولى، تبدو وكان لها حياتها الداخلية، وقوتها العضوية الامر الذي يجبرنا على الاقتناع بها وقبولها، انها مدينة بهذه «الحياة الداخلية» و «القوة العضوية» الى مئات العناصر المشتركة في قوانين النمو في الطبيعة ..»

واذا كانت رحلة التجربة الخزفية لدى سعد شاكر قد عمقت لديه الافادة من الشكل وتحرير المضمون ن قيمته الانتفاعية الضيقة والخروج به الى قيمة تعبيرية تستثمر عناصر الطبيعة والنبات كما في خزفيته «زهور فطرية» المعروضة في بنياله فينيسيا 1976 وسواها.. فانه جذر علاقته بالانسان وقضاياه الظرفية الملتهبة ضمن وعي فن القضية وذلك بالانتفاع من السيراميك وتحويل قيمه المضمونية ، تعبيريا ، الى مدلولات سياسية ظرفية وكما في خزفيته «فدائي» المعروضة في بيناله فينيسيا عام 1976 (ايضا) .. وكما في خزفيته «القمر الحالم» ومشاركاته في معارض الحزب ..

ولان الخزف المعاصر لم يعد، في اللون والتزجيج اكتشافا ذاتيا، بل هو جهد مشترك ساهم فيه الموروث كما ساهم فيه المحدثون .. الا ان الافادة الذاتية والتجربة تعطي للعمل الخزفي جدواه في الخصوصية، ويبقى منتميا الى صانعه رغم انتمائه الى موطنه وتراثه ..

وسعد شاكر افاد كثيرا من القيم التزيينية والزخرفية والاشكال النحتية ليس في اعماله المعروضة داخل الصالات الشخصية ، حسب ، بل وعلى مستوى التكليف كجداريات او كمقتنيات خاصة .. وبذلك ساهم في منح الخزف بعده التزييني على مستوى الديكور المنزلي او ديكور الصالات والواجهات ، كما في جداريته المهداة من قبل وزارة الخارجية الى منظمة الانواء الجوية العالمية..

ففي جدارية « الانواء » اعتمد الفنان على الالوان الشرقية المستوحاة من تراثنا الى جانب رموز فولكلورية وحضارية . ففي القسم العلوي افاد من الشمس والهلال ودلالة الريح والعواصف المحركة للغيوم والامطار التي ارتبطت عند سكان وادي الرافدين بعلم الفلك وبالتقاليد والاساطير معا .. اضافة الى علاقة « الظواهر الجوية » عندهم بالزراعة والحصاد ، مما دفع الفنان الى جعل وسط الجدارية ، مثل تبسيطا للشجرة التي هي رمز الخصب والعطاء ، يعلوها طائر اتخذ منه رمزا للانطلاق والفضاء . وقد تضمن الجزء السفلي من الجدارية على عبارة « العراق مهد الحضارات » مخطوطة بالكوفي .

لقد حقق سعد شاكر في هذه الجدارية هدفا اعلاميا الى جانب العلاقة بين الصنعة والفن والنحت الخزفي .. ولقد بات الان ، من المألوف جدا في معارض الخزافين العراقيين الافادة من كل معطيات التعبير والاشكال وغناهما اللامحدود .. بحيث خرج الخزف من تعبيره الاستعمالي المحدود ونفعيته الاستهلاكية وكلاسيكيته الى رؤى أكثر قدرة على مشاكل الانسان وعصره وذوقه وجماليانه بل وحتى كمالياته !

■ التناغم والوجدان ■

واذا كان للبيئة الحضارية في العراق ومصر والاغريق والصين ، وعقائد أجدادنا القدامى أثرها في خلق فن خزفي له طابعه وكيانه لكل بلد حضاري ، فان الفخار الاسلامي تفرد عن سواه بالتنغيم الخطي وابراز الوحدات الخزفية البديعة بشكل متناسق تجسد ذلك كله في النقوش والرسوم الانسيابية ، ورسوم الطبيعة والحرب والخط والزخرفة ..

واذا كان الفخار الشعبي قد استغل الطين في عمل

الكثير من أدواته الاستعمالية المختلفة كأواني الطهي والشرب ، فان في بعض أعماله ما يرمز الى عاداتنا وتقاليدنا كأبارق الجوامع وقلل الماء التي تمتاز بالبساطة والتجريد وقوة التعبير ، وهذه الاعمال عاشت بعيدة عن الثقافة والتهذيب المدرسي ، حيث الفطرة والسذاجة والبساطة ، لكن الفخار الحديث تأثر بروح العصر وحاجاته المادية والروحية ، لذا نرى بعض خزافينا لجأن الى صنع القلائد والاساور والمزهريات الى جانب الجداريات التزيينية ..

فاذا كان الخزاف القديم قد اتخذ الخزف للحاجة لصنعه في شكل يتفق مع فلسفته البدائية ويزينه باشكال لها قيمتها في مساعدته على الحياة كالرموز والطلاسم التي وضعها على أوانيه ، فان الفنان المعاصر لجأ الى وسائل تعبير لا محدودة .. حد ان اصبح الخزف يجمع بين التصوير والنحت (بين المساحة اللونية والفورم) بل وقد تجاوز ذلك الى المعنى الرمزي والدلالة السياسية ..

وقد استلهم سعد شاكر هذه الموحيات في اعماله عبر مراحل تطوره ، كما استلهمها وافاد منها جمع الخزافين العراقيين كداود كانكانيان وطارق ابراهيم وسهام السعودي وعبله العزاوي ومقبل الزهاوي ونهى الراضي والعديد من الخزافين الشباب ..

وسعد شاكر ، لجأ الى التناغم وخلق الوجدان في خزفه الحديث ، كجزء من ظاهرة اخذت تتسع وتشيع في اعمال خزافينا المعاصرين ..

ولم تعد اعماله (كذلك اعمال الخزافين العراقيين الآخرين) مجرد أعمال تتطابق في الفائدة ، مع أعمال الاسلاف بل تعدتها الى شيء من الروح الشرقي والتجريد ذي الطابع العالمي الى جانب استلهام الموضوعات السياسية الملتهبة .

■ تفاعلات اللون ■

مرة قال سعد شاكر : «انني أميل الى اللون الذي يعبر عن داخل القطعة ، لكي اجعل القطعة الخزفية تتحدث ، تعبر ، في اللون ..»

وسعد يتذكر : «كان لا بد من الالوان الشرقية لبعض القطع ، مع اني لا أميل اليها كثيرا ، بسبب كونها توحي بالالتصاق بالقطعة من الخارج ، ولا تسهم في خلقها ديناميكيا ..»

ونتذكر قوله : «انني حاولت ان اعبر عن المعاصرة والتراث في تكوين لوني يسهم في جعل ابعاد الكتلة الخزفية مشوقة ومؤثرة ومحبوبة (او قريبة الى النفس) ..»

ونتنبه ..

كان السومريون يميلون الى اللون اللازوردي .. ، وفي ملحمة «كلكامش» اشارة واضحة الى الخزف .. : «يشكو سكان (اوروك) الى الآلهة . ان (كلكامش) بسبب فائض قوته يضغط عليهم . الآلهة توعز الى الآلهة (آرورا ـ خالقة البشر) بخلق بطل يشبه (كاكامش) فتخلق من الطين (انكيدو) انسانا وحشيا يحيا في البرية مع الحيوانات ..» وهو من «بين الرجال كالنجوم السماوية» ..

وعندما مات (انكيدو) يقسم (كلكامش) قسما مقدسا بوضع نصب فوق قبره :

« يا صديقي ، سأصنع لك تمثالا
لم يصنعه صديق لصديق »

والمقاييس الجمالية لهذا النصب (الخزفي) هي في الجوهر واقعية تماما :

«بطول الصديق ، ومظهره فيه سيكون واضحا»

اما التقييم الجمالي للمواد التي يجب ان يصنع منها النصب فيقول عنها :

«قاعدته من الصخر ، وشعره من اللازورد

وجسمه من الرخام الشفاف، ومن الذهب جسمه»

فالصخر (نوع الكتلة) واللازورد (اللون) والرخام الشفاف والذهب (المواد)..حسب تصورات الاقدمين تعبر عن اهمية جوهر أعضاء الجسم الانساني وتعبر عن العظمة والجمال الانساني (راجع : دياكونوف: جماليات ملحمة كلكامش ص 176 ترجمة عزيز حداد)

وشهرة خزف بابل والوانه معروفة .. هنا .. يلعب «الازرق» في تقديرنا دوره في الخزف ، عبر العصور القديمة ، والموروث الشعبي ، والحاضر الراهن .. ان «اللون» يحتوي علاقة ، جمالية وبيئية ودينية وتراثية .. والالوان التي يستعملها خزافنا العراقي في مكوناتها وفي اصولها وفي تاثيرها النفسي والجمالي تختلف عن الالوان الاوربية الباردة ..

وضع اللون .. في الخزف ، يختلف فيزياويا وتركيبيا عن وضع اللون في اللوحة ..

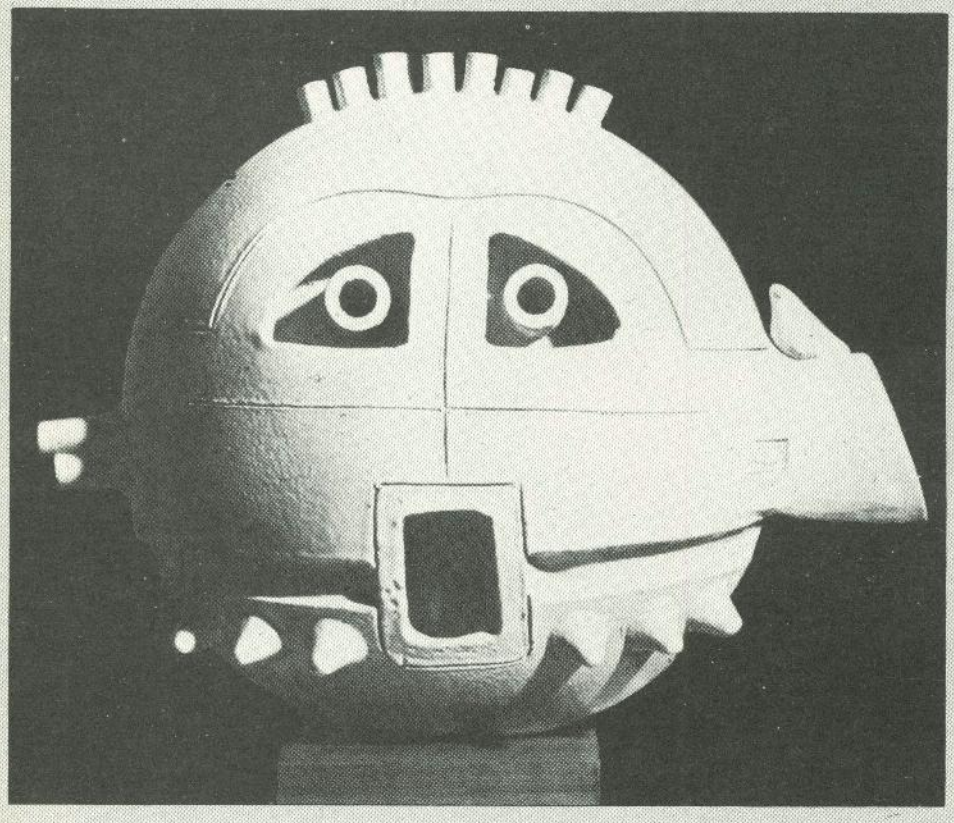

ـ ماذا يقول سعد شاكر ؟

سعد : «الفرق بين اللون في الصورة واللون في السيراميك .. في الاولى يكون اساسا في براعة الرسام اللونية وتحكمه في اسرار اللون .. وله اهميته وخطورته في التكوين والتعبير والتركيب .. الخ ،

اما في السيراميك فهو يأتي ملازما للشكل احيانا، يكمله ويعطيه بعدا آخر..واحيانا يكون مؤكدا لبعض جوانبه او فعالا في تعبيره . والفرق الاساس هو ان اللون في الصورة يكون تحت السيطرة الكاملة بيد الفنان ، اما في السيراميك فهو يختلف نسبيا اذ تدخل الكثير من العوامل (التي قد لا تكون من صنع الفنان او العكس) في اللون النهائي..وهذا لا يعني ان اللون في السيراميك تحكمه الصدفة ، بل يمكن السيطرة عليه تحت التجربة والخبرة الطويلة»

و .. يأتي سعد شاكر بالامثلة التطبيقية :

«لناخذ ـ مثلا ـ اوكسيد الكروم الاخضر الذي يمكن الحصول منه على الوان عديدة ، فهذا الاوكسيد خامل من حيث نشاطه الكيمياوي ، اي انه غير فعال كيمياويا ، وهو مقاوم للحرارة وغير قابل للذوبان في طلاءات التزجيج ، لكنه يعطينا اللون الاحمر بكل درجاته والبرتقالي والاصفر والاخضر بانواعه ، وهذا يتوقف على مدى معرفة سلوكه مع المواد الاخرى وبشكل علمي وتحت التجربة المستمرة وفي حالات وظروف مختلفة . وكل الاكاسيد يجب ان تكشف وتكتشف مرة اخرى حتى يثبت اختبارها فتصبح معرفة الخزاف لها كمعرفة الرسام لأسرار الوانه الزيتية ..»

● ـ وطابع الوهج والبريق ؟ انه يضيف الى النظر قدرة على الابتهاج وربما يبتعد البريق بالمتلقي عند تفحص الشكل (حركة فضاء القطعة الخزفية) .... وكيمياويا.. يقع البريق في الزجاج تحت تاثير ما.. كذلك .. حراريا .. فماذا يقول سعد شاكر ؟

ـ يقول سعد : «يقع .. تحت تاثير المواد الصاهرة ، وهي كلما زادت نسبتها زاد بريقها .. أما الصواهر فهي : الصودا والبوراكي والبوتاس ، وانواع الرصاص .. الخ ، وكلما قلت نسبتها قل البريق ونحا اللون الى ان يكون «مطفيا» .. كذلك للحرارة الشديدة علاقة مترابطة مع بريق اللون ايضا ..»

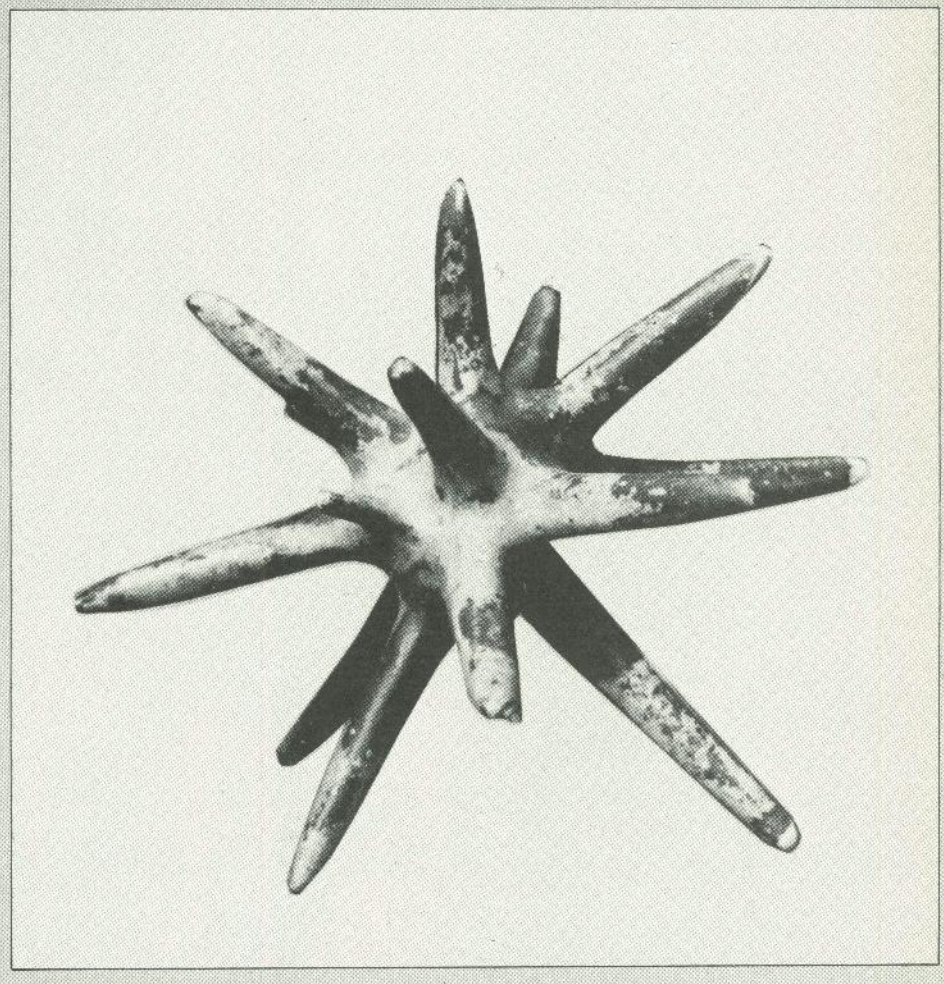

■ الشكل والمهارة .. ■

لا تخلق المهارة انتباهاتها في اللون وحده ، انها خبرة الخطا والصواب ، ايضا خبرة «التجريبية» .. واذا كانت «اسرار» المواد الصاهرة ، لها مفاتيح دراسية (علمية) كما لها معادلاتها ، لكنها تدخل ضمن هموم «التكنولوجي» .. حرفيته وخصائص المواد المستعملة ..

لكن المهارة لا تخلق انتباهاتها في اللون وحده .. ايضا .. بل في الشكل، وبالتحديد ، في غنى الشكل .. من التراثي الى النحتي، من ضوابط الخزف التقليدي وحيثياته ، الى الخروج عن الانماط وعليها ..

ـ يقول سعد شاكر : «الشكل في السيراميك محدود اذا نظر اليه من الجانب التقليدي . ويمكن الخروج من هذا التحديد اذا ما اراد الفنان ان يطلق لنفسه الحرية في التكوين ، ولكن هناك بعض الشروط التي لا بد منها للذهاب الى حدود ابعد .

ازاء هذا الفن الواسع والشيق والدقيق والمعقد ، في ان .. لا بد من مهارة الفنان التقليدية في الاستعانة بكل الطرق والادوات للبحث عن الوجه الصحيح المناسب الذي تريده يد الفنان ويريده فكره ..

فالاشكال العمودية تتسم بالبساطة والرصانة ، اما اذا كانت منحنية الشكل او كروية حيث ان مرونة هذه المادة تجعلها توحي بالقوة والهدوء والبهاء، فلا بد من ان يفكر الفنان في حجم الاشكال والفراغ المحيط بها والضوء والظل بارتباط وثيق .. فالضوء والظل يمارسان تاثيرهما على الكتلة في الفراغ والنظام البنائي لكل الاعمال .

ان على الخزاف ان يكثف كل انتباهه في مجمل اعماله كما يفعل العازف حين يعزف بآلته الموسيقية تماما ، فكلاهما يتطلبان تمارين عملية متواصلة . وكي يجعل التجربة اخاذة لا بد للفنان من ان يمنحها الحياة .»

ولسعد راي في الالتزام بالموروث يقول :

«التراث حصيلة تجارب طويلة خلقها لنا اسلافنا فيها الجيد وفيها العادي .. لكن الاستغراق في بعث الماضي هو مضيعة للوقت وافتقار الى الابداع الذاتي ، في حين ان ابواب الكون لما تزل مفتوحة امامنا ، ولما تزل الارض بكرا تنتظر من يحرثها ، لذا يجب ان يعبر الفنان باقتدار لخلق حاضر مقنع ومعبا بالامل والتفاؤل «ان الاعتقاد بمجتمع عادل ومتطور يتناقض كليا مع الالتجاء الى الماضي ..» .

● ـ كيف ؟ .. ان الماضي ليس رديئا ، اذا ما نقبنا فيه بوعي واكتشفنا ما فيه من قيم جوهرية تساعدنا على فهم الحاضر واستشراف المستقبل ..

يجيب سعد .. (وفي اجابته المكتوبة يلغي اجابته السابقة المكتوبة ايضا)

يقول :

«ان الفن ذكاء انساني يقوم بدوره في بناء الحضارة بصدق واخلاص لتحقيق اهداف الانسان .. ان كلمة «سيراميك» واسعة المعاني وتشمل كل المواضيع الطينية المعرضة للحرارة الشديدة ، والتي تحولت فيزياويا الى مواد تختلف عن خصائصها الاولية ، .. والخزف قد يكون مادة استعمالية ضمن حاجات الانسان في حياته اليومية وقد يتضمن ، في نفس الوقت مزاياه الفنية ، كما كان الفن التقليدي سابقا .. فالفن بشكله العام لا بد وان يخدم حاجات الانسان الحياتية او المدنية او الاجتماعية او الفكرية او النفسية .. الخ . والا لما كان للفن اية ردة فعل في حياة الانسان عبر العصور ..»

يؤكد سعد على كون السيراميك واحدا من فنون وادي الرافدين القديمة منذ فجر الحضارة الانسانية فالكتابة على الالواح الطينية المحفورة والتي حفظت اعظم تراث انساني حتى الوقت الحاضر، كذلك الدمى الخزفية التي تناولت جوانب من حياة الانسان، عمقت هذا المجرى ، كما افاد الاقدمون من الخزف في العمارة ..

كل هذا الرصيد من المعرفة سجله السيراميك وبقي مقاوما عوامل الطبيعة على مدى قرون .. فلم تكن اهميته تكمن في مردوده الايجابي الآني بل تعدته الى العصور الاخرى ..»

لهذا «نحن نحترم هذا الفن ونحبه فهو جزء من ثقافتنا وتقاليدنا الموروثة» .

●

وبعد ..

كما يطمح سعد شاكر الى جعل الخزف انتباهة عصرية .. نطمح الى ان تتحول ظاهرة السنوات الاخيرة (وهي ظاهرة توسع مدارك الفنان الخزفي وانتشار اعماله في المعارض الجماعية والشخصية على مستوى الداخل والخارج : من معارض الاساتذة الى معارض طلبة معهد واكاديمية الفنون الجميلة) الى تقليد راسخ على مستوى الانتاج السلعي والانتاج الفني معا .. فالسيراميك ، هو بالذات ، فن الوضع وشكله ايضا .. وكما كان في الماضي ، سيبقى الخزف، لصيقا بالزمن والناس وحركة المجتمع والحياة ..

◆